



ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: <https://lark.uowasit.edu.iq>



*Corresponding author:

Dr. Moayad Majeed Hamid (Ph.D.)

University: Wasit University

College: College Of Arts

Email:

mmajeed@uowasit.edu.iq

Keywords:

the phenomenon of i'qa' (inflexion), violation of syntax, narration movement, poetic evidence, poetic necessity.

ARTICLE INFO

Article history:

Received 20 Apr 2023

Accepted 8 May 2023

Available online 1 Jul 2023

The Phenomenon of Consonantal Assimilation between Arabic Heritage and Modern Linguistic Thought."

ABSTRACT

This article discusses the phenomenon of i'qa' (inflexion) in Arabic poetry according to two different concepts. The first represents the vision of ancient linguists and their understanding of the phenomenon which has much evidence that indicates i'qa' (inflexion) as a deviation that occurs in some rhyme endings of a poem. Where the movement pattern alternates between nominative and genitive cases. The second represents the vision of some modern scholars who believed that i'qa' (inflexion) is simply a deviation from the rules of Arabic grammar that the poet resorts to in order not to break the continuity of rhymes and disturb the musicality of his poetry. The article has presented evidence that what the ancients believed is more accurate, and that modern scholars have confused between two different concepts in terms of meaning and evidence. It is concluded that i'qa' (inflexion) is only a rhetorical defect, nothing more.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/>

ظاهرة الإقواء بين التراث العربي والفكر اللساني الحديث

م.د. مؤيد مجيد حميد/جامعة واسط/ كلية الآداب/ قسم الإعلام

الخلاصة:

يناقش البحث ظاهرة الإقواء في الشعر العربي بحسب مفهومي مختلفين؛ يمثل أحدهما رؤية اللغويين القدماء وفهمهم لهذه الظاهرة التي وجد لها عددٌ غير قليلٍ من الشواهد، وتتلخص في أنّ الإقواء متمثلٌ في انحرافٍ يقع فيه الشاعرُ في بعض الأبيات، فتختلف حركة آخر البيت، ويمثل الآخرُ رؤية بعض اللغويين المعاصرين الذين رأوا أنّ الإقواء إنّما هو انحرافٌ عن قواعد النحو لجا إليه الشاعرُ مضطراً كي لا يُخرقَ عنده تنبؤ القوافي ولا تختلّ موسيقى شعره، وقد توصل الباحثُ من خلال عرض جملةٍ من الأدلة إلى أنّ ما ذهب إليه القدماء أدقُّ، وأنّ المحدثين قد خلطوا بين ظاهرتين مختلفتين في المفهوم والشواهد، وأنّ الإقواء إنّما هو عيبٌ عروضيٌّ ليس إلا.

لكلمات المفتاحية: ظاهرة الإقواء، خرق الإعراب، حركة الروي، الشواهد الشعرية، الضرورة الشعرية.

المقدمة :

يسعى هذا البحث إلى مناقشة مسألة تتعلق بتحديد المفاهيم وما يترتب عليه من توجيه لمسار البحث فيها وما ينجم عنه من أحكام ، وهي ظاهرة الإقواء في الشعر العربي . وقد حملني على البحث في هذه الظاهرة ما لحظته من ذهاب بعض الدارسين المحدثين من العرب إلى توجه جديد في تفسيرها مبين مباينة تامة لما عهدناه في التفسير العربي القديم لها ، ولا شك في أن لهذه الرؤية الجديدة التي تبناها بعض الدارسين أبعاداً منهجية حديثة انطلقوا منها لترسيخ بعض الأفكار الغربية في النظر اللغوي لعل من أبرزها رفض المعيارية في البحث اللغوي والاقتصار على وصف اللغة وصفاً مجرداً . فارتأيت بحث الظاهرة محاولاً الكشف عن منهجين مختلفين في البحث اللغوي من خلال النظر إلى ظاهرة الإقواء .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أتناوله في ثلاثة محاور تسبقها مقدمة وتلونها خاتمة ، يمثل أولها مفهوم الإقواء عند القدماء ، ويعنى ثانياً بعرض رأي بعض الدارسين المحدثين في الإقواء ، أما ثالثها فخصصت لمناقشة الرأيين المختلفين . وعلى الله قصد السبيل ومنه العون والتوفيق .

أولاً : الإقواء عند القدماء :

يكاد يجمع اللغويون والنقاد القدماء على أن الإقواء عيب في القافية ؛ وذلك أن الشاعر تضطره مقاييس النحو وما ثمليه قواعد الإعراب أن ينحرف في بعض قوافي القصيدة ، فيختلف روي بعض الأبيات عن سائر حركات روي القصيدة . قال ابن قتيبة (ت 276هـ) : " كان أبو عمرو بن العلاء (ت 157هـ) يذكر أن الإقواء هو اختلاف الإعراب في القوافي ، وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة ، كقول النابغة (بن إسحاق، ت 244 هـ، صفحة 220) :

قالت بنو عامر خالوا بني أسدٍ يا بُؤس للحزبِ ضراراً لأقوامِ

وقال فيها (ابن السكيت، ت 244هـ) :

تبدو كواكبُهُ والشَّمسُ طالعةٌ لا النورُ نورٌ ولا الإِظلامُ إِظلامٌ (الدينوري،

2003، صفحة 96/1)

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

ويصرح بعض القدماء أنّ ظاهرة الإقواء تكثُر في شعر عدد من فحول الشعراء ومن أدنى منهم في المنزلة ، وذكر فُدامةُ ابنُ جعفر (ت 337هـ) أنّ ذلك في شعر الأعراب كثيرًا. (أبو الفرج، ت 337هـ، صفحة 181) .

ويُعدُّ النابغةُ الذبيانيُّ من أشهر الشعراء الذين وَقَعُوا في فخِّ الإقواء ، ومن أمثلة ذلك تلك الروايةُ المشهورةُ التي تُصرِّحُ بأنَّه أقوى في قصيدةٍ له يقولُ في مطلعها (ابن السكيت، ت244هـ، صفحة 29):

أمن آل مَيَّةَ رائحٍ أو مُغتدٍ عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزودٍ

ثم يُقوي في قولهِ (ابن السكيت، ت244هـ، صفحة 29) :

زعم البوارحُ أنّ رحلتنا غدًا وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ

وذكر الرواةُ أنّ النابغةَ قال البيتَ بِضَمِّ الدالِ من كلمةِ (الأسود) ، قال ابنُ السكيتِ (ت244هـ) : "قال ابنُ الأعرابيِّ والأثرمُ : بلغنا أنّ النابغةَ كان أقوى في قولهِ : أمن آل مَيَّةَ رائحٍ أو مُغتدٍ ، فوردَ يثربَ فأنشدها ، فقالوا له : أقوىت ، فلم يَعرفْ ما عابوا ، فألقوا على فَمِ قَيْنَةٍ لهم : وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ ؛ ففطنَ فلم يَعُدْ . وكذلك قولُهُ : يكادُ من اللطافةِ يُعقدُ ، فقالوا لها : رتليهِ ومُدِّيهِ ، فقالت : مغتدي ، ثم قالت : الغرابُ الأسودُ ، ففطنَ ، فقال النابغةُ : وردتُ يثربَ وفي شعري صنعةٌ، وصدرتُ عنها وأنا أشعرُ العربِ" (ابن السكيت، ت244هـ، صفحة 35) (بن جتي، ت392هـ، صفحة 35).

وتُشيرُ الروايةُ أيضًا إلى أنّ النابغةَ أقوى في بيتٍ آخرَ من القصيدةِ ، وهو قولُهُ (ابن السكيت، ت244هـ):*

بمُخَضَّبِ رَحْصٍ كأنَّ بِنائهُ عَنَمٌ يكادُ من اللطافةِ يُعقدُ

والرواية فيه : عنم على أغصانه لم يعقد ، وحينئذ لا إقواء فيه*

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

ولم يقتصر الإقواء على النابغة من فحول الشعراء ، فقائمة الذين وقعوا في هذا العيب طويلة لا يمكن حصرها ، فقد أقوى الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته التي يقول في مطلعها (الأنباري ، بلا، صفحة 433):

أَدْنَتْنا بَيْنَها أسماءُ رَبِّ نأوِ يُمَلِّ منه النَّواءُ

وقال فيها (الأنباري ، بلا، صفحة 474):

فَمَلَكْنا بِذَلِكَ النَّاسِ حتى مَلَكَ المَنْذَرُ بِنِ ماءِ السماءِ

قال ابن الأنباري(ت328هـ) بعد هذا البيت: " قال أبو محمد التوزي (ت233هـ) سمعتُ الأصمعيّ (ت213هـ) يروي هذا البيت سنة ثمانين ومئة، قال : وأنا سألتُهُ عنه، وقال الأصمعيُّ : أنشدني هذا البيت حَرْدُ بِنِ المِسمَعِيِّ وقال : لا يَضُرُّهُ إقواؤه ، قد أقوى النابغة في قصيدته الدالية وعاب عليه أهل المدينة فلم يُعَيِّرْهُ ، وإِتما كانت هذه القصيدة شبيهاً بالخُطبة، قام بها الحارث مرتجلاً" (الأنباري ، بلا، صفحة 475).

وممن وقع الإقواء في شعره حسان بن ثابت ، فقد وَرَدَ ذلك في غير موضعٍ من شعره ، منها قوله (الأخفش، ت215هـ، صفحة 26):

لا بِأَسَ بالقومِ من طُولِ ومن عِظَمِ جِسْمِ البِغالِ وأحلامِ العِصافيرِ

ثم قال (الأخفش، ت215هـ، صفحة 26):**

كَأَنَّهُم قَصَبٌ جوفٌ أسافلُهُ مُثَقَّبٌ نَفَحَتْ فيه الأعاصيرُ

وممن وقع الإقواء في شعره من فحول الشعراء : دريدُ بن الصِّمَّةِ ، وبِشْرُ بن أبي حازمٍ، والعباسُ بن مرداسٍ ، وزِيادُ الأعجمِ ، ولقيطُ بن زرارةٍ وغيرُهم من الشعراء (الأخفش، ت215هـ، الصفحات 46-49) (التتوخي، 2003، الصفحات 173-177) (العبدي، 1986، الصفحات 115-213).

ورواية الديوان – وهي رواية لا إقواء فيها- **:
كأنهم خُشبٌ جوفٌ أسافلُهُ مثقّب فيه أرواح العصافيرِ

الإقواء وخرق الإعراب عند القدماء :

تبين لنا مما سبق أن ظاهرة الإقواء يكاد ينعقد الإجماع على وقوعها في أشعار القدماء ، بل قد صرح بعضهم بأنه لا يكاد ينجو من ظاهرة الإقواء أحد من الشعراء، كالفيروز آبادي (ت817هـ) ، إذ قال في مادة (قوي) : "وقلت قصيدة لهم بلا إقواء" (الفيروز آبادي، 2005، صفحة 1327) .

وقد عدّه الدكتور رمضان عبد التواب مغالياً (عبد التواب، 2009، صفحة 93) . غير أن كلامه وإن تضمن شيئاً من المغالاة- يدل على وجود الظاهرة وشيوعها في الشعر الجاهلي والإسلامي ، ووفرة شواهدا في كتب القوافي والنقد وشروح الدواوين يشهد بذلك .

وقد وردت في تراث القدماء نقده أو نحوه شواهداختلفت أحكامهم فيها ، فبعضهم عدّها شواهدا لظاهرة الإقواء ، وحكمت عليها طائفة أخرى بأنها شواهدا تندرج ضمن أحكام الشذوذ النحوي أو الضرورة الشعرية ، وارتأى فريق آخر تأويلها وحملها على الوجوه المطردة .

من ذلك كسر نون الجمع في المذكر السالم، فقد ورد في قول سحيم بن وثيل الرياحي (بن عبد الملك، ت216هـ، صفحة 19) :

عذرت البزل إن هي خاطرتني فمأ بالي وبأل ابن اللبون

وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الاربعين

وقول جرير (الصاوي ، بلا، صفحة 577) :

عربن من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عربين

عرفنا جعفرًا وبني عبيد وأنكرنا زعانف آخرين

فقد ذهب قدامة بن جعفر (ت337هـ) إلى أن الإقواء عيب يكون في الروي ، مما يدل على أنه ليس خطأ إعرابياً، وأورد الأبيات المذكورة ضمن شواهدا ، فقال متحدثاً عن عيوب القافية: "ومن غيوبها الإقواء ، وهو أن يختلف إعراب القوافي ، فتكون قافية مرفوعة مثلاً وأخرى مخفوضة ، وهذا في شعر الأعراب كثير جداً ، وفيمن دون الفحول من الشعراء ، وقد ارتكبت بعض الفحول الإقواء في مواضع". (بن جعفر، ت 337هـ، صفحة 181) .

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

وذكر البيهقيين السابقين لسُحيم بن وثيل الرياحي، وقال بعدهما: " فنونُ الأربعيين مفتوحةٌ ، ونونُ اللبون مكسورةٌ ، ولكنه كأنه وقف القوافي فلم يُحرِّكها". (بن جعفر، ت 337هـ، صفحة 182).
ثم استشهد ببيهقي جريير السابقين ، واقتصر على ذلك من شواهد الإقواء .

غير أننا نجدُ النحويين قد تعاملوا مع هذه الشواهد على نحوٍ مختلفٍ عما وجدناه عند ابن قدامةٍ ومَنْ لَفَّ لَفَّهُ في إلحاقِ هذه الشواهدِ بالإقواءِ ، فكانَ وقوفُهُم عندها مندرجًا ضمن نظرتِهِم المعياريةِ ؛ ومن ثَمَّ تعاملوا معها على أنَّ الشعراءَ قد خرَقوا فيها نظامَ اللغةِ ومُطرِدَ القواعدِ ، وهنا نجدُ النحويين يلتجؤون إلى التأويلِ والتخريجِ ، من ذلك قول ابن جني(ت392هـ) : "فليست النونُ في (الأربعين) حرفَ إعرابٍ ، ولا الكسرة فيها علامة جر الاسم ، وإنما هي حركة التقاء الساكنين ، وهما الياء والنون ، وكُسِرَتْ على أصل حركة الساكنين إذا التقيا ، فلم تُفْتَحْ كما تُفْتَحُ نونُ الجَمْعِ ؛ لأنَّ الشاعرَ اضطرَّ إلى ذلك لئلا تختلف حركة الرويِّ في سائر الأبيات". (بن جني ، 2007، صفحة 272/1).

وواضحٌ أنَّ ابنَ جني يُقرُّ أنَّ الشاعرَ قد رجَّحَ الالتزامَ بإطرادِ رويِّ القصيدةِ مضيحًا بداعي الضرورةِ الشعريةِ بأقيسةِ النحوِ وقواعدِ الإعرابِ، ولم يكتفِ ابنُ جني بحكم بالضرورةِ الشعريةِ ، بل حاول إيجاد تأويلٍ يُسوِّغُ ذلك الانحرافَ ، فذهبَ إلى أنَّ الشاعرَ قد سَكَّنَ نونَ (الأربعين) ، فالتقى ساكنان وهما الياء والنون ، ثم حرَّكَ إحدى النونين تَخْلُصًا من التقاءِ الساكنين .

ورجَّحَ ابنُ عصفور (ت669هـ) أنَّ كسرَ النون في البيت لهجةٌ من لبعض القبائل العربية، إذ تجعلُ الإعرابَ في نون جمع المذكر السالم ، أي تجريه ما جُمِعَ هذا الجمع وما ألحقَ به مجرى المفرد ((ابن عصفور)، 1999، الصفحات 171-172).

ورأى الرضي (ت686هـ) أنَّ كسرَها فيما جُمِعَ جَمْعَ مذكرٍ سالمًا إنما هو على خلاف القياس ، وجعل منه قول الشاعر (البغدادي ، 1997 ، صفحة 62/8) :

دَرَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَهُ لَعِبْنَ بِنَا شِيبًا وَشِيْبِنَا مُرْدَا

وقول الشاعر ••:

ثانياً : رأي لبعض اللغويين المُحدثين في الإقواء :

توصلنا فيما سبق إلى أن القدماء من اللغويين وغيرهم إلى أنهم يكادون يتفقون على بيان مفهوم الإقواء ؛ إذ تردُّ شواهدُه في كتب النقدية ، والقافية، وشروح دواوين الشعر ، وعلى؛ ومن ثمَّ فشواهدُ هذه الظاهرة لم تكن مداراً لخلاف النحاة إلا على نحوٍ يسير، كما وجدنا في كسر نون جمع المذكر السالم في شعر سُحيم بن وثيل ، وجرير .

أما الدارسون من المُحدثين فقد اخترع بعضهم مذهباً مختلفاً في بيان مفهوم هذه الظاهرة يختلف عما وجدناه من اتفاق القدماء في بيان مفهومها، وفي مقدمة هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس، فقد قدم لرأيه بالتشكيك في الروايات التي تدلُّ على وجود الإقواء في الشعر، ففي حديثه ما يوحى باتهام للقدماء بأنهم وضعوا تلك الروايات ونسبوا الإقواء إلى بعض الشعراء إذ يقول : "ولقد حدثنا أهل العروض عن عيبٍ من عيوب الشعر سموه الإقواء حيناً ، والإصراف حيناً آخر ، وقالوا عنه إنَّه اختلاف حركة الروي ، وزعموا أن بعضاً من الشعراء القدماء قد وقعوا في هذا العيب". (أنيس، 1952، صفحة 259) .

وصرح بأن تلك الروايات لو صحت لكان "يجب أن تعد خطأ نحوياً لا خطأً شعرياً، فالشاعر صاحب الأذن الموسيقية والحريص على موسيقى القافية ، لا يعقل أن يزلَّ في مثل هذا الخطأ الواضح الذي يدركه حتى المبتدئون في قول الشعر، بلَّه النابغة وأمثاله من شعراء فحول ، والذي أرجحه أن النابغة قد نطق البيت*:

زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغرابُ الأسود

وكسر الدال لينسجم مثل هذا النطق مع باقي أبيات القصيدة من الناحية الموسيقية، تلك التي يعبر بها الشاعر ويراعونها مراعاة تامة". (أنيس، 1952، الصفحات 259-260).

سبق تخريجه**

تقدم تخريجه*

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1
وذكر أمثلة أخرى ثم قرر أنّ الشاعر " قد أخطأ في قواعد النحو ، لا في الموسيقى الشعرية ، وهو ما يمكن تصويره" . (أنيس، 1952، صفحة 260) .

وبعد ذلك أعطى حكماً قاطعاً على أنّ ما يسمى "بالإقواء أو الإصراف لا وجود له في الشعر العربي قديمه أو حديثه ، والواجب أن تبحث أمثاله في شعر القدماء بين شواهد النحو ، وألا يعرض لها المتحدثون عن موسيقى الشعر" . (أنيس، 1952، صفحة 260) .

وممن ذهب مذهباً جديداً في الإقواء من المحدثين الدكتور عليّ أبو المكارم ، وقد وقف عند شواهد الإقواء التي ذكرها القدماء فأقرّ أنّ ظاهرة الإقواء " موجودة في الشعر الجاهليّ ووقع فيها شعراء كبار" . (أبو المكارم، 2006، صفحة 57) .

غير أنّه زعم أنّ القدماء توهموا في تفسير الظاهرة ؛ " لأنهم تصوروا أنّ الشاعر ينشد قصيدته على نحو ما يقرؤون هم هذه القصيدة ، متتبعين ما تفرضه القواعد من الالتزام بحركة معينة لا يعدلون عنها ، وتوهموا أنّه في سبيل هذا الالتزام بما تفرضه القواعد اللغوية يضحى الشاعر بإحكام النسيج الموسيقيّ للقصيدة ، وهذا كله خطأ؛ إذ يتنافى مع ما يعرف من حرص الشعراء على الموسيقى حرصاً يدفعهم إلى ارتكاب مختلف ضروب التجوز اللغويّ" . (أبو المكارم، 2006، صفحة 57).

وهو بذلك يُصرّح بأنّ ما تسمح به اللغة من أشكال التجوز اللغويّ هو الذي أجاز للشاعر أن ينحرف عن الثابت من أقيسة النحو، حتى لو كان ذلك متأتياً من طريق التأويل الذي يَرُدُّ الظاهر المخالف لقواعد اللغة إلى المطرد . قال : "ولذلك كله كان من المؤكد عندنا أنّه لا النابغة ولا غيره من الشعراء الذين اتُّهموا بالإقواء كانوا يغيرون حركة القصيدة من الكسر إلى الضم ، أو من الضم إلى الكسر ، وإنّما كانوا يقرؤون أبياتهم إما مكسورة أو مضمومة كما يتطلبها الروي" . (أبو المكارم، 2006، صفحة 58).

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

وقد اتخذ الدكتور علي أبو المكارم من مواقف ابن أبي إسحاق (ت117هـ) من الفرزدق وتخطئته إياه دليلاً على فهمه لظاهرة الإقواء ، فقد أنشد الفرزدق (الفرزدق، 1984، صفحة 213/1):

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنا يلقي وأرحلنا على زواحف تزجي مخها رير

" قال ابن أبي إسحاق : أسأت ، إنما هي ريرٌ ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع". (الجمحي ، بلا، صفحة 17).

وثمة موقف ثان تعرض فيه ابن أبي إسحاق للفرزدق ، وذلك في قوله في قصيدته التي يقول في مطلعها (الفرزدق، 1984، صفحة 23/2):

عزفت بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وقال فيها (الفرزدق، 1984، صفحة 26/2):

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنَ الْمَلِ الْأَمْسَحَاتِ أَوْ مُجَلَّفُ

"فقال له ابن أبي إسحاق: على أي شيء ترفع(أو مُجَلَّفُ)؟ فقال: على ما يسوؤك وينوؤك". (ابن الأنباري، 1985، صفحة 28).

فاتخذ الدكتور علي أبو المكارم من الروايتين دليلاً على أنّ مفهوم الإقواء ليس كما عن قرر القدماء . يقول " فالفرزدق في هذين الموضعين يكشف عن حقيقة هامة تغير ذلك التفسير القديم للإقواء حين يرفض أن ينشد قصائده طبقاً لما يفرضه النحو من قواعد ، ويضحي بالسلامة النحوية من أجل الحركة الموسيقية ، ولا يستجيب لما يريده النحاة من إثارة سلامة التركيب على اتساق الموسيقى". (أبو المكارم، 2006، صفحة 59) .

والرواية فيه : على زواحف نزجيتها محاسير.
وفيه : (مجرف) بدلاً من (مجلف)••

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

ويصرح الدكتور رمضان عبد التواب بأن الإقواء لم يُوجد كما حدد مفهومه أهل العروض ، بل هو يدخل في إطار اللحن والخطأ في الكلام ، وقد استدل بالروايات أنفسها التي تنص على وجود هذه الظاهرة في الشعر العربي ، على أن الخطأ النحوي كان يقع في شعر الفحول (رمضان ، 2009، الصفحات 92-94).

وأكد رأيه في مكان آخر من كتابه (فصول في فقه العربية) مبيّناً " أن ما يُسمى بالإقواء في الشعر ليس إلا خطأ في قواعد النحو ، يقع فيه الشاعر لكي يحتفظ بموسيقى القافية في شعره ، وإن كان بعض النقاد يرون أن الشاعر كان يخالف موسيقى القافية ؛ لكي يصحح النحو". (عبد التواب، 2009، صفحة 166).

وتعرض الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف لظاهرة الإقواء ورأى أن اختلاف المجرى لا يكون في النطق والإنشاد ، بل يكون بحسب القاعدة النحوية (عبد اللطيف، 2008، صفحة 509).

وقد سار الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في تناوله الظاهرة طريقتاً مابيناً لسابقه من الدارسين ، ذلك بأنه عدّ ظاهرة (الإقواء) وظاهرة (الإصراف) وهو "اختلاف حركة الروي من فتح إلى ضم وكسر". (وهبة، 1984، صفحة 46)، كقول الشاعر⁽¹⁾ :

أريتك إن منعتَ كلام يحيى أتمنعي على يحيى البكاء

ففي طرفي على يحيى سهاد وفي قلبي على يحيى البلاء

عدّهما من الأمور التي تنكسر قواعد الإعراب في الشعر، وهما عنده ليستا خطأ نحويًا كما ذهب الدكتور علي أبو المكارم ، والدكتور رمضان عبد التواب، واستدلّ لما يقول ببعض أقوال النحويين القدماء كابن هشام الأنصاري (ت761هـ) الذي عزا إليه أنه جعل من جملة المواضع التي يُقدّر فيها الإعراب ما اشتغل آخره بحركة القافية⁽²⁾، وقد استدلّ بذلك على أن الشعراء كانوا يقولون الشعر بما تقتضيه القافية ، وأن ما قدمه القدماء في مفهوم هذه الظاهرة هو الرأي السليم، بخلاف ما كان يذكره أهل العروض الذين ظنوا أن الشعراء كانوا ينطقون قصائدهم على وفق قواعد النحو فيما يمكن أن يوجد فيه الإقواء . قال : " ونحن لا نوافقهم على هذا ؛ لأنه لا يحق لنا أن نخطئ

(1) غير منسوب ، ينظر: حاشية الدمنهوري على متن الكافي : 101 .

(2) ينظر: حاشية الدمنهوري على متن الكافي : 101 .

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

العرب الذين نحتج بكلامهم ، إذ إنَّ ما جاؤوا به لو كان خطأ لما سكت عليه معاصروهم ، ولما أفروهم عليه ؛ ولأنَّ دور النحويِّ هو الوصف فحسب لا التخطيء والتصويب"• (عبد اللطيف ، 2008 ، صفحة 510) (عبد اللطيف ، 1996 ، الصفحات 272-277) (عبد اللطيف م. ، 2001 ، الصفحات 236-246) (عبد اللطيف ، 2008 ، الصفحات 230-233).

ثالثاً : مناقشة الرأيين السابقين :

ممن وقف عند ظاهرة الإقواء من الدارسين الدكتور محمد عبد المجيد الطويل ، ورأيه فيها أنَّها موجودة في الشعر العربيِّ على وَفْق مفهومها الذي ذكره القدماء ، وقد تصدى للدارسين المحدثين الذين ابتكروا في هذه الظاهرة رأياً جديداً ، واستدلَّ لرأيه بجملة أمور رأى أنَّها تفند ما اجترحوه من رأي ، ويمكن تلخيص ردوده فيما يأتي :

1- توجد في القافية عيوب أخرى غير الإقواء في القافية يحدث فيها انكسارٌ لرويِّ القصيدة ، منها الإصراف ، وهو اختلافُ الرويِّ المطلقِ بفتحٍ وكسرٍ ، أو فتحٍ وضم ، فإذا كان الإقواء عندهم يمثلُ لحناً نحوياً يستقيمُ معه رويُّ القوافي ، فما قولهم في الإصراف؟ أعيب نحويِّ هو أيضاً ؟ وماذا يصنعون بمثل قول الشاعر (بن منظور ، بلا) :

لا تتكحّن عجزاً أو مطلقةً ولا يسوقتها في حبله القدر

وإن أتوك وقالوا إنَّها نصفت فإنَّ أطيب نصفيها الذي عبرا

وهو على هذا يرى أنَّ الإقواء كالإصراف ، كلاهما اختلاف حركة الرويِّ (الطويل ، 1983 ، الصفحات 115-116).

2- إنَّ ذهاب بعض الدارسين إلى أنَّ الإقواء خطأ في الإعراب ، وأنَّ شواهدهُ كانت موافقةً للمجرى الأصليِّ للقصيدة " يحمل في طياته اتهاماً للرواة واللغويين الذين نقلوا إلينا هذه الأبيات ، وطعنًا في حفظهم ، وشكًا في ثقافتهم ، مع أنَّهم جميعًا قد نقلوا هذه الأبيات مع النص على أنَّ بها إقواء ، وأنَّها كانت تقرأ وفق ما يقتضيه النحو لا الموسيقى". (الطويل ، 1983 ، الصفحات 117-118).

وقد تكلم الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف على هذه الظاهرة في أكثر من مؤلف.

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

ويمكن أن أزيد على ما ذكره أن الدكتور عليّ أبو المكارم زعم في تعليق له على قصة الحضرمي مع الفرزدق وتخطئته إياه أن " الفرزدق لو لم يكن موجوداً لنطقها ابن أبي إسحاق بالرفع ، ولجعل النحاة والرواة هذين البيتين من نماذج الإقواء بالمعنى الذي فهموه منه ، وهو الخطأ في حركة الروي". (أبو المكارم، 2006، الصفحات 58-59).

3- واستدلّ الدكتور الطويل على أن الإقواء بحسب رؤية القدماء بأن أغلب الشعراء لم يكونوا يلقون قصائدهم مرة واحدة، بل كان إنشادهم لها – في الغالب- يكون على مراحل ، بل إن كل بيت في القصيدة يكاد يمثل (وحدة) موضوعية ، وعضد رأيه بقول الأخفش : "وكل بيت منها شعر على حياله". (الأخفش، ت215هـ، صفحة 47) . وقال معقبا على قول الأخفش: " فهذه الجملة الأخيرة قد تفيدنا فيما نحن بصدده ، فقد كانوا ينشدون القصيدة بيتاً بيتاً؛ ولذلك شاع في الشعر الجاهليّ وحدة البيت". (الطويل، 1983، صفحة 119).

4- وجعل أيضاً من قصة النابغة و غناء إحدى الجواري لثنيته حجة تؤيد رأيه، وأشير هنا إلى أن الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف قد جعل من هذه القصة نفسها دليلاً على أن الإقواء خطأ في الإعراب لا القافية ، ورأى أن الجارية مدّت صوتها لثنيته على خطئه في الإعراب ، إذ يقول : " لعلّ هذه القصة تكشف لنا أن النابغة كان ينشد شعره بما يقتضيه نظام الشعر ، ولذلك لم يتنبه إلى ما فيه من تخالف بين الضم والكسر حتى رتلّت الجارية ومطلت الصوت ، والجارية ليست شاعرة ، ومن هنا نطقت بما أوحى إليها من طلبوا منها الغناء". (عبد اللطيف م، 2001، صفحة 239).

وإنني هنا أؤيد ما قرره الدكتور عبد المجيد الطويل وهو أن الجارية ومن لقتها كانوا يريدون تنبيه النابغة على الخطأ في القافية إذ يقول : "والسؤال الذي يفرض نفسه الآن : ألا يحمل هذا النص دليلاً قوياً على أن هذه الأبيات التي حدث بها الإقواء كانت تنشد وفق ما يقتضيه النحو ؟ ولذا جاء بيت بالرفع وآخر بالخفض ؟ وإلا فكيف أحس النابغة بالخطأ؟ وكيف مطلّت الجارية صوتها ومدته ليحس بالفرق"؟ (الطويل، 1983، صفحة 119).

واستعان هنا ليعضد فكرته ويؤيد فهمه بما ذكره ابن جني في قصته مع أبي عبد الله الشجري ، حيث قال : "وأشدنا أبو عبد الله الشجري يوماً لنفسه شعراً مرفوعاً وهو قوله:

نظرت بسنجان كنظرة ذي هوى رأى وطناً فانهلّ بالماء غائبه

يقول فيها يصف البعير:

فقامت إليه خدلة الساق أعلقت به منه مسموما دؤينة حاجبة

فقلت: يا أبا عبد الله: أتقول: دؤينة حاجبه مع قولك مناسبه و أشانبه ، فلم يفهم ما أردت ، فقال: فكيف أصنع؟ أليس ههنا تضع الجري على القرمة، على الجرفة؟ وأما إلى أنفه فقلت: صدقت ، غير أنك قلت أشانبه و غالبه فلم يفهم ، وأعاد اعتذاره الأول. فلما طال هذا قلت له: أحسن أن يقول الشاعر (العطية، 1994، صفحة 66):

آذنتنا ببينها أسماء ربّ ثاوٍ يُمَلّ منه الثواء

ومطلت الصوت ومكنته ، ثم يقول مع ذلك (العطية، 1994، صفحة 70):

ملك المنذرُ بنُ ماء السمائي

فأحس حينئذٍ ، وقال : أهذا ! أين هذا من ذلك ! إنّ هذا طويل ، وذاك قصير . فاستروح إلى قصر الحركة في (حاجبه) وأنها أقل من الحرف في (أسماء) و(السماء) ". (بن جنيّ، ت392هـ، صفحة 241/1).

فهذا النص يؤيد رأي الدكتور عبد المجيد الطويل في فهم الإقواء، وهو المخالفة في القوافي " وإلا فلم نصّ ابن جني في بداية حديثه على أنّ الشاعر أنشده شعراً مرفوعاً ، إلا إذا كان الشاعر نطق بالبيت الثالث مخفوضاً". (الطويل، 1983، صفحة 120).

هذه هي الأدلة التي أوردها الدكتور محمد المجيد الطويل في إثبات أنّ الإقواء يكون في القافية لا الإعراب ، وهناك أدلة أخرى غير التي ذكرها تؤكد وقوع الإقواء بالفهم القديم وتثبت عدم صحّة قول من رأى غير ذلك من المُحدّثين ، منها أنّ بعض القدماء الذين شرحوا مفهوم الإقواء وأوردوا شواهد من الشعر العربي هم أنفسهم من ذكروا أنّ بعض الشعراء قد أخطؤوا في الإعراب ، والشواهد التي أوردها للإقواء ، تختلف عن شواهد الأخطاء في الإعراب ، من هؤلاء أبو عمرو بن العلاء الذي شرح لنا مفهوم الإقواء وأورد بعض شواهد ، غير أنّه وقف موقفاً

مختلفاً مع الشواهد الأخرى ، التي ذكر الرواة أنّ الشعراء أخطؤوا فيها ، من ذلك قصة الفرزدق مع أبي إسحاق في بيته المشهور* :

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ أَمْ يَدْعُ مِنَ الْمَلِ الْأَمْسَحَاتِ أَوْ مُجَلَّفُ

قال المرزباني (ت384هـ) : " وقال أبو عمرو بن العلاء : لا أعرف له وجهًا ، وكان يونس لا يعرف له وجهًا ، قلت له : لعلّ الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه، قال لا ، كان ينشدها على الرفع ، وأنشدنيها رؤبة بن العجاج على الرفع " . (المرزباني ، بلا ، صفحة 135).

فلا ضيرَ عند أبي عمرو بن العلاء وكذلك يونس بن حبيب (ت182هـ) في التصريح بعدم تحقُّق الإقناع في توجيهِ النحويين لأبيات الفرزدق التي خالف فيها قواعد الإعراب. وهناك التفاتة ذكية للدكتور شوقي ضيف تتعلق بهذه الرواية، فقد ذكر توجيهاً ربما يكون أقرب إلى الصِّحَّةِ في توجيه تلك المخالفة الإعرابية إذ يقول : "ويظهر أنّ الفرزدق قصد إلى الاستئناف حتى لا يُحدث في البيت إقواءً يخالف به حركة الروي في القصيدة". (ضيف، 1968، صفحة 23).

فهذه الروايات التي تتعلق بشيءٍ من شعر وغيره التي كُتِرَ فيها الخلافُ فيها لم تُردِّ ضمن شواهد الإقواء ، بل وردت ضمن خَرْقِ بعض الشعراء لقواعد الإعراب؛ ومن ثمَّ اختلف النحويون في توجيهها ، ولم يأتوا بشيءٍ مقنعٍ ، كما قال ابن قتيبة : "قد أكثر النحويون في الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا فيه بشيءٍ يُرتضى". (الدينوري، 2003، صفحة 471/1).

فالقديما إذن قد رصدوا ظاهرتين مختلفتين في الشعر ، إحداهما : الإقواء ، وهو عندهم عيبٌ قافويٌّ يقع فيه بعض الشعراء، والأخرى : الخطأ في الإعراب ، وفيها يخالف الشاعرُ قواعدَ الإعرابِ ، وهو ما فعله الفرزدق في غير موضعٍ من شعره ، ولم يذكر النقاد تلك الأبيات على أنّ فيها إقواءً ، بل على أنّ فيها مخالفة إعرابية ، ومن ثمَّ أتعب النحويين في تخريجِهِ ، ولم يأتوا فيه بشيءٍ مرضيٍّ كما قال ابن قتيبة .

ومن هنا أرى أنّ جعلَ الدكتور رمضان عبد التواب أبيات الفرزدق مع أمثلة الإقواء، مستدلاً بأنَّ هذه الظاهرة قد استمرت إلى نهاية العصر الذي احتج به النحويون (عبد التواب، 2009،

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

صفحة 94)، غير صحيح ، وأنه خلط بين ظاهرتين مختلفتين، لكل ظاهرة منهما شواهدا التي تميزها من غيرها من الأخرى ، ولكل منهما مفهومها الذي تعرف به .

وجمع الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف بين الظاهرتين وعدهما ظاهرة واحدة في الشعر العربي ، وهما عنده من خصائص لغة الشعر ، ورأى أن خرق الإعراب في الشعر لا يقتصر على رويّ القافية وحده، وقد تناول ذلك ضمن نظرية القرائن التي يُعنى بها إمكان التنازل عن بعضها عند أمن اللبس (عبد اللطيف م.، 1996، الصفحات 264-276)، ورأى أن المخالفة الإعرابية موجودة بكثرة في القافية حتى لا تنكسر وتختل موسيقى البيت ، ومثل لذلك بأكثر من ظواهر نحوية رأى أنها من خصائص لغة الشعر ، ككسر نون الجمع في المذكر السالم ، وظاهرة الجر على الجوار ، ونصب الجزأين بعد (إنّ) وأخواتها، وظاهرة الإجراء على الموضع وهو العطف على المحل ، وغيرها من الظواهر مع ذكر شواهد لها من كتب النحو القديمة (عبد اللطيف م.، 2001، الصفحات 222-238).

ثم تحدث عن مفهوم (الإقواء) وكأنه يريد بهذا الترتيب أن يبين أن ما سبق من الظواهر نحوية التي قد خُرقَ فيها نظام الإعراب تدل على أن الإقواء يمثل أحد هذه الظواهر .

وأرا أنه قد وقع في الإشكال الذي وقع في الدكتور رمضان عبد التواب ، وهو الخلط بين ظاهرتين مختلفتين في المفهوم والشواهد ، وأن لغة الشعر تتحدد من خلال مخالفات لغوية توجد في الشعر باطراد دون لغة الشعر ، أما الإقواء فهو عيب عروضي ليس غير .

الخاتمة :

توصّلت من خلال فحص الآراء المختلفة في الإقواء قديمها وحديثها إلى أن اللغويين والنقاد القدماء كانوا أكثر دقة في تحديد مفهومه وفي تحليل شواهدِهِ ؛ إذ فصلوا بين ما ينحرف فيه الشاعر عن المطرّد من قواعد النحو وما يكسّر فيه موسيقى شعره وتتأبّع قوافيه ، فأما الجانب الأول فناقشوه في إطار الأحكام النحويّة فكانت أحكامهم على أمثاله تتردّد بين تخطئة الشاعر وتلحينه أو محاولة إيجاد تخريج لما وقع في شعره من انحراف. أما ما ذهب إليه بعض اللغويين المحدثين من إلحاق شواهد الإقواء بالانحرافات النحويّة والرّعم بأنّ الشاعر لا يُمكن أن يُقوي بالمعنى الذي يذكره العروضيون فغير دقيق ؛ ذلك بأنّ القدماء من اللغويين والنقاد الذين نقلوا إلينا شواهد الإقواء

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1
وبينوا لنا مفهومه ، هم أنفسهم الذين كشفوا لنا عن وقوع بعض الشعراء في الانحراف عن قواعد النحو؛ وهذا يدل دلالة واضحة على وجود الظاهرتين في الشعر العربي .

المراجع:

- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. (2003). *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار الحديث.
- إبراهيم أنيس. (1952). *موسيقى الشعر*. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ط2.
- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، (ت577هـ) ابن الأنباري. (1985). *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*. الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار، ط3.
- أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش. (ت215هـ). *كتاب القوافي*.
- أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي (ابن عصفور). (1999). *ضرائر الشعر*. بيروت: دار الكتب العلمية/ ط1.
- أبو الفتح عثمان بن جني. (ت392هـ). *الخصائص*. بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر.
- أبو الفتح عثمان، (ت392هـ) بن جني . (2007). *سر صناعة الإعراب*. بيروت: دار الكتب العالمية.
- أبو الفرج قدامة بن جعفر. (ت337هـ). *نقد الشعر*. بيروت: دار الكتب العلمية .
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت711هـ) بن منظور. (بلا). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري . (بلا). *شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات* . ط5: دار المعارف القاهرة.
- أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك. (ت216هـ). *الأصمعيّات، اختيار الأصمعيّ*. بيروت: دت، ط5.
- أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، (ت384هـ) المرزباني . (بلا). *الموشح ، مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر*. نهضة مصر.

- وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1
- أبو يعلى عبد الباقي عبد الله التتوخي. (2003). *كتاب القوافي*. القاهرة: مطبعة دار الكتب، ط2.
- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. (ت 244 هـ). *ديوان النابغة*. بيروت : دار الفكر.
- الفرزدق. (1984). *ديوان الفرزدق*. بيروت: دار بيروت .
- رشيد العبيدي. (1986). *معجم مصطلحات العروض والقوافي*. بغداد: مطبعة جامعة بغداد ، ط1.
- رمضان عبد التّواب. (2009). *فصول في فقه العربيّة*. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7.
- شوقي ضيف. (1968). *المدارس النحوية*. القاهرة: دار المعارف.
- صنعة أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت. (ت244هـ). *ديوان النابغة*. بيروت: دار الفكر.
- صنعة مروان العطية. (1994). *ديوان الحارث بن حلزة اليشكري*. دمشق: دار الإمام النووي.
- عبد التّواب رمضان . (2009). *فصول في فقه العربيّة*. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط9.
- عبد القادر بن عُمر ،(ت1093هـ) البغدادي . (1997). *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- علي أبو المكارم. (2006). *الظواهر اللغوية في التراث النحوي*. القاهرة: دار غريب، ط1.
- قدامة بن جعفر أبو الفرج. (ت 337هـ). *نقد الشعر*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- مجدي وهبة. (1984). *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*. بيروت: مكتبة لبنان، ط2.
- محمد حماسة عبد اللطيف. (1996). *لغة الشعر ، دراسة في الضرورة الشعرية*. القاهرة : دار الشروق، ط1.
- محمّد حماسة عبد اللطيف. (2001). *اللغة وبناء الشعر*. القاهرة: دار غريب.
- محمّد حماسة عبد اللطيف. (2008). *البناء العروضي للقصيدة العربيّة*. القاهرة: دار غريب.
- محمّد حماسة عبد اللطيف. (2008). *العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث*. القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، ط3.

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

محمد عبد المجيد الطويل. (1983). الإقواء بين النحاة وعلماء العروض. مجلة البيان الكويتية.

محمد إسماعيل عبد الله الصاوي . (بلا). شرح ديوان جرير. مصر: المكتبة التجارية.

محمد بن سلام، (ت231هـ) الجمحي . (بلا). طبقات فحول الشعراء . القاهرة : الخانجي.

مجدُ الدين محمد بن يعقوب، ت817هـ الفيروز آبادي. (2005). القاموسُ المُحَيِّط. بيروت: مؤسسة

الرسالةن ط8.